

## تفسير البحر المحيط

@ 389 ومذلة ، وعلى قراءة الرفع كان من عطف جملة فعلية على جملة اسمية . ويجوز أن تكون في موضع الحال ، أي وقد ذلت رفعت دانية أو نصبت . .

قوله عز وجل : { وَيُطَافُ عَلَيْهِمْ بِدَائِرَةٍ مِّنْ فِضَّةٍ وَأَكْوَابٍ كَانَتْ قَوَارِيرًا \* قَوَارِيرَ \* مِّنْ فِضَّةٍ قَدَّرُوهَا تَقْدِيرًا \* وَيُسْقَوْنَ فِيهَا كَأْسًا كَانَتْ مِنْهَا جُوهًا زَنْجَبِيلًا \* عَيْنًا فِيهَا تُسَمَّى سَلْسَبِيلًا \* وَيَطُوفُ عَلَيْهِمْ وِلْدَانٌ مُّخَلَّدُونَ إِذَا رَأَى يَتَتَّهُمْ حَسِبْتَهُمْ لُؤْلُؤًا مَّنثُورًا \* وَإِذَا رَأَى يَتَتَّهُمْ رَأَيْتَ نَعِيمًا وَمَلَأَكَ كَبِيرًا \* عَالِيَهُمْ ثِيَابٌ سُنْدُسٌ خُضْرٌ وَإِسْتَبْرَقٌ وَحُلَاهُ آبُ اسَّاورٍ مِّنْ فِضَّةٍ وَسَقَاهُمْ رَبُّهُمْ شَرَابًا طَهُورًا \* إِنَّ هَذَا كَانَ لَكُمْ جَزَاءً وَكَانَ سَعْيِكُمْ مَّشْكُورًا \* إِنْ نَزَّ لَنَا عَلَيْهِكَ الْقُرْءَانُ تَنْزِيلًا \* فَاصْبِرْ لِحُكْمِ رَبِّكَ وَلَا تَطِعْ مِنْهُمْ إِثِمًا أَوْ كَفُورًا \* وَإِذْ كُتِبَ اسْمُ رَبِّكَ بِكُورَةٍ وَأَصِيلًا \* وَمِنَ السَّيْلِ فَاسْقُدْ لَهُ وَسَبِّحْهُ لِيْلًا طَوِيلًا \* إِنَّ هَؤُلَاءِ يُحِبُّونَ الْعَجَابَةَ وَيَذَرُونَ رِءَاهُ يَوْمًا تَقِيلًا \* نَحْنُ خَلَقْنَاهُمْ وَشَدَدْنَا أَسْرَهُمْ وَإِذَا شِئْنَا بَدَّلْنَا أَمْثَالَهُمْ تَبْدِيلًا \* إِنَّ هَؤُلَاءِ تَذَكُّرَةٌ فَمَنْ شَاءَ اتَّخَذْ إِلَى رَبِّهِ سَبِيلًا \* وَمَا تَشَاءُونَ إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلِيمًا حَكِيمًا \* يُدْخِلُ مَنْ يَشَاءُ فِي رَحْمَتِهِ

وَالظَّالِمِينَ أَعَدَّ لَهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا } . لما وصف تعالى طعامهم وسكناهم وهيئة جلوسهم ، ذكر شرابهم ، وقدم ذكر الآنية التي يسقون منها ، والآنية جمع إناء ، وتقدم شرح الأكواب . وقرأ نافع والكسائي : قواريرًا قواريرًا بتنوينهما وصلًا وإبداله ألفًا وقفًا ؛ وابن عامر وحمة وأبو عمرو وحفص : بمنع صرفهما ؛ وابن كثير : بصرف الأول ومنع الصرف في الثاني . وقال الزمخشري : وهذا التنوين بدل من ألف الإطلاق لأنه فاصلة ، وفي الثاني لاتباعه الأول . انتهى . وكذا قال في قراءة من قرأ سلاسلًا بالتنوين : إنه بدل من حرف الإطلاق ، أجرى الفواصل مجرى أبيات الشعر ، فكما أنه يدخل التنوين في القوافي المطلقة إشعارًا بترك الترتم ، كما قال الراجز :

يا صاح ما هاج الدموع الذرّ فن .

فهذه النون بدل من الألف ، إذ لو ترتم لوقف بألف الإطلاق . { مِّنْ فِضَّةٍ } : أي مخلوقة

من فضة ، ومعنى { كَانَتْ } : أنه أوجدها تعالى من قوله : { كُنْ فَيَكُونُ } تفخيماً  
لتلك الخقلة العجيبة الشأن الجامعة بين بياض الفضة ونصوعها وشفيف القوارير وصفائها ،  
ومن ذلك قوله : { كَانَ مِزَاجُهَا كَأَفُورًا } . وقرأ الأعمش : قوارير من فضة بالرفع ،  
أي هو قرارير . وقرأ الجمهور : { قَدَّرُوهَا } مبنياً للفاعل ، والضمير للملائكة ، أو  
للطواف عليهم ، أو المنعمين ، والتقدير : على قدر الأكف ، قاله الربيع ؛ أو على قدر  
الري ، قاله مجاهد . وقال الزمخشري : { قَدَّرُوهَا } صفة لقرارير من فضة ، ومعنى  
تقديرهم لها أنهم قدروها في أنفسهم على مفادير وأشكال على حسب شهواتهم ، فجاءت كما  
قدروها . وقيل : الضمير للطائفين بها يدل عليه قوله : { وَيُطَافُ عَلَيْهِمْ } ، على  
أنهم قدروا شرايبها على قدر الري ، وهو ألد الشراب لكونه على مقدار حاجته ، لا يفضل عنها  
ولا يعجز . وعن مجاهد : لا يفيض ولا يغيض . انتهى . وقرأ عليّ وابن عباس والسلمي والشعبي  
وابن أبزي وقتادة وزيد بن عليّ والجحدري وعبد الله بن عبيد بن عمير وأبو حيوة وعباس عن  
أبان ، والأصمعي عن أبي عمرو ، وابن عبد الخالق عن يعقوب : قدروها مبنياً للمفعول . قال  
أبو عليّ : كأن اللفظ قدروا عليها ، وفي المعنى قلب لأن حقيقة المعنى أن يقال : قدرت  
عليهم ، فهي مثل قوله : { مَا إِنَّ مَفَاتِحَهُ لَتَنُذِرُوا بِالْعِصْيَةِ أُولِي  
الْأَلْبَابِ } ، ومثل قول العرب : إذا طلعت الجوزاء ألقى العود على الحرباء . وقال  
الزمخشري : ووجهه أن يكون من قدر منقولاً من قدر ، تقول : قدرت الشيء وقدرنيه فلان إذا  
جعلك قادراً عليه ، ومعناه : جعلوا قادرين لها كما شاءوا ، وأطلق لهم أن يقدروا على  
حسب ما اشتهاوا . انتهى .

وقال أبو حاتم : قدرت الأواني على قدر ربههم ، ففسر بعضهم قول أبي حاتم هذا ، قال :  
فيه حذف على حذف ، وهو أنه كان قدر على قدر ربههم إياها ، ثم حذف على فصار قدر ربههم